وقال الزمخشري

وقائلة أرى الأيام تعطي   لئام الناس من رزق حثيث
وتمنع من له شرف وفضل   فقلت لها خذي أصل الحديث
رأت جل المكاسب من حرام   فجادت بالخبيث على الخبيث

ومن الذي مدت له   جهلا فلم يخف انصرامه

هو كالذي قبله أذما من وصل لها يدوم ولا شيء من حبالها الا وهو معصوم غير أن لبعض الناس مدح من يرمق بسعادتها واغتر بسيادتها فقال

وإذا العناية لاحظتك عيونها   نم فالمخاوف كلهن أمان
واصطد بها العنقاء فهي حبائل   واقتد بها الجوزاء فهي عنان

وقد بين المقامين الإمام الشافعي رضي الله عنه بقوله

لو أن بالحيل الغنى لوجدتني   بنجوم أفلاك السماء تعلقي
لكن من رزق الحجا حرم الغنى   ضدان مفترقان أي تفرق
وإذا سمعت بأن مجدودا حوى   عودا فأورق في يديه فصدق
وإذا سمعت بأن محروما أتى   ماء ليشربه فغاض فحقق

(قوله مجدود أي محظوظ لأن الجد هو الحظ كما تقدم في شرح البيت الأول)

ومن الدليل

ومن الدليل على القضاء وكونه   بؤس اللبيب وطيب عيش الأحمق

ولآخر

أن السعادة أمر ليس يدركه   أهل السعادة إلا بالمقادير
محجوبة عن أناس طالبين لها   وقد تساق لأقوام بتيسير

وفي عبارته استعارة تبعية حيث شبه التزيين بمد الحبل واخذ منه مدت ويجمل المكنية والإنسان في الدنيا وإن طال عمره فماله إلى الموت كما قال القائل

من عاش سبعين عاما   فقد أتم النصابا
وعاد ما كان حلوا   له من العيش صابا
ومن أتم السرابا   عليه أن ينصابا

وهذا كقوله

شيئان عجيبان هما أبرد من يخ   شيخ يتصابا وصبي يتشيخ

وقال الإمام

ولذة عيش المرء قبل مشيبه   وقد فنيت نفس تولى شبابها
إذا اسود جلد المرء وابيض شعره   تكدر من أيامه مستطابها

كم واحد غررته منه   سرته مخيفة الذمامه

Copyright © King Saud University